التأثر والتأثير بين بين نظرية الحقول الدلالية وعلم التفسير – مفاتيح الغيب للرازي انموذجاً

الباحثة. فضيلة صبيح نومان

كلية الآداب/ جامعة القادسية/ العراق

Influence and influence between semantic field theory and interpretation science - the keys to the unseen Razi as a model

Researcher. Fadhila Subaih Noman

College of Arts\ University of Qadisiyah\ Iraq

fatima73sapeh@gmail.com

Abstract

The Koran to pride Razi is the most important interpretations of the school of interpretation of the interpretation of the opinion of Mahmoud and even better, as it is a scientific encyclopedia specialized in the field of Islamic religion and the science of interpretation in particular, a great repository of mental guidance and theoretical statements and includes the issues of various sciences, and divided this research on the axis The first is entitled: The first of the semantic fields and the second axis entitled: Field theory in the interpretation of the Razi.

Keywords: fields, semantic, interpretation, keys of the unseen, Al-Razi.

الملخص

تفسير القرآن للفخر الرازي فهو اهم تفاسير المدرسة التفسيرية المنتمي الى التفسير بالرأي المحمود بل وافضلها، إذ يعد موسوعة علمية متخصصة في مجال الدين الاسلامي وعلم التفسير على وجه الخصوص وهو مستودع عظيم للتوجيهات العقلية والأقوال النظرية ويضم مسائل العلوم المختلفة، وقسم هذا البحث على محور اول بعنوان: اوليات الحقول الدلالية ومحور ثان بعنوان: نظرية الحقول في تفسير الرازي.

المقدمة

سعى بعض الباحثين بعد ظهور البنيوية في اوربا، الى تصنيف المدلولات بالطريقة نفسها التي يصنف بها علم الأصوات أصواته، غير ان هذا لم يكلل بالنجاح اذا طرحت تساؤلات حول فعالية هذه الطريقة وكذلك فيما يخص محاولة غريماس الذي صنف المدلولات على اساس العلاقة القائمة بين الكلمات، فهي وان كانت ناجحة ورائدة في مجال التحليل الأدبي، إلا أنها بقيت محدودة النتائج.

وهكذا يتضح ان سوسير هو أول من أقر بوجود علاقة دلالية بين عدد ما من مدلولات بعض الألفاظ خاصة عندما يلفت الانتباه الى ما يسميه (الروابط التشاركية) الموجودة بين الوحدات، مثل (خشي) و(توجس) و(خاف)، فهذه الكلمات رغم قلتها تشكل مجموعة دلالية صغيرة يضمها مفهوم عام، وهو الخوف، ومثل هذا صار – بعد التطور والتحسن – يعرف بمنهج بناء الحقول الدلالية.

وقد ظهرت عدة تصنيفات، لهذه الحقول الدلالية، ومنها: تصنيف فارتبورج، على ثلاثة محاور:

١- الكون: (السماء، الغلاف الجوي، الأرض، النبات، الحيوان).

٢- الأنسان: (جسم الانسان، الفكر والعقل، الحياة الاجتماعية).

٣- الإنسان والكون: ويدخل فيه ما يتصل ايضا" بالعلم والصناعة.

وبخصوص القرآن الكريم وتفسيره الملاحظ انه حينما أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) حمل الألفاظ العربية معاني لم تكن معهودة عند الانسان العربي القديم، نعم انه نزل (بلسان عربي مبين) الشعراء/ ١٩٥، ولكن عربيته كانت جديدة في كل شيء قام ببيانه، وقد احدث القرآن الكريم قفزة كبيرة في استعمال الألفاظ العربية وذلك بتحويل دلالة الفاظ اللغة العربية من الاستعمال العربي

البسيط الى نسق مخالف لاستعمال الشاعر الجاهلي او الاديب، وان اللفظ قد يكون موضوعا" في اللغة لمعنى معين او يدل عليه لغة وان لم يوضع له، لكن مراد الله تعالى قد يكون غير ذلك.

واما بخصوص تفسير القرآن للفخر الرازي فهو اهم تفاسير المدرسة التفسيرية المنتمي الى التفسير بالرأي المحمود بل وافضلها، إذ يعد موسوعة علمية متخصصة في مجال الدين الاسلامي وعلم التفسير على وجه الخصوص وهو مستودع عظيم للتوجيهات العقلية والأقوال النظرية ويضم مسائل العلوم المختلفة، وقسم هذا البحث على محور اول بعنوان: اوليات الحقول الدلالية ومحور ثان بعنوان: نظرية الحقول في تفسير الرازي.

الكلمات المفتاحية: الحقول، الدلالية، تفسير، مفاتيح الغيب، الرازي.

المبحث الأول

نظرية الحقول الدلالية

ومر تحديد المعنى للكلمة الواحدة من خلال علاقاتها بمجموعة من الكلمات التي ترتبط معها في دلالتها، وتوضع معها عادة تحت لفظ عام يجمعها، اذ تكتسب الكلمة معناها من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل الدلالي الواحد ولهذه النظرية ارتباط كبير باللغويين الألمان، اذ قاموا بدراسة مجموعة الكلمات التي تنتهي الى حقل دلالي واحد مثل العالم اللغوي الألماني {ابسن} و{كروكورت} و{تزير}.

واما اهم مبادئ هذه النظرية، منها:

١- لا بد ان تنتهي كل وحدة معجمية (كلمة) الى حقل دلالي.

٢- لا يصح انتماء وحدة معجمية واحدة الى اكثر من حقل دلالي واحد.

٣- لا يمكن اغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

٤- لا يمكن دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي[١]

واما معنى الكلمة في ضوء هذه النظرية هو: "محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى في الحقل الدلالي نفسه"[٢]

وان تصنيف قائمة المجالات الدلالية، يقوم على النظام التفريعي، فيبدأ اللغوي بتحديد حقول دلالية عامة، وينزّع من كل حقل منها حقولا" أدق وأكثر خصوصية ويتفرع عن كل منها حقولا" أدق وأكثر خصوصية، وهكذا في سائر الحقول الأخرى، ويمتد هذا الى بيان انواع العلاقات بين المفردات داخل الحقل الدلالي الواحد، وقد حصر اللغويين العلاقات الممكن وجودها في حقل واحد، فوجدوا انها لا تخرج عن خمس علاقات، هي:

١- الترادف.

٢- الاشتمال.

٣- الكل بالجزء والعكس.

٤- التضاد.

٥- التنافر.

ولا يشترط ان تتجمع هذه العلاقات كما في حقل دلالي واحد، كما ان العلاقات التي يمكن وجودها في حقل دلالي ما يرجع الى اختلاف طبيعة اللغات، وعلى اللغوي ان يحدد العلاقات الضرورية لتحليل المفردات في اللغة التي يتعامل معها، فمن امثلة علاقة

١ علم الدلالة (احمد مختار عمر): ٨٠
٢ المصدر السابق: ٩٨

الترادف في الحقل الدلالي الخاص بالقرابة، مثلا: ابن ونجل، ام ووالدة، زوجة وحليلة وعقيلة، وهذا من باب الترادف التام الذي يتساوى فية معنيا" الكلمتين تماما".

ومن امثلة علاقة الاشتمال في الحقل الدلالي الخاص بالحيوان: حشرة ونملة حشرة وبعوضة، حشرة وذبابة، لأن معنى كلمة نملة يتضمن معنى كلمة حشرة وهكذا مع البعوضة والذبابة ومن امثلة علاقة الكل بالجزء علاقة البيت بالحجر وعلاقة البناء بالبيت ... وهكذا، واما امثلة علاقة التضاد وما نجده مثل: متزوج وعزب، وهذا من التضاد الجاد اي انه تضاد غير متدرج، واما امثلة علاقة التنافر، ما نجد بين معنى كلمة (قط) مثلا، ومعنى كلمة (كلب)، فأن ليس بينهما تضاد، بل ان كل منهما ينتمي الى جنس مخالف لجنس الآخر مع وقوعهما في حقل دلالي واحد.

كما ان نظرية الحقول الدلالية تقوم على فهم معنى الكلمة من خلال فهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا"، الا ان طائفة من اصحاب هذه النظرية قد توسعوا فيها، فأدخلوا حقولا" دلالية تحمل المرادفات، واخرى تشمل الأضداد، واسموا الأول حقل المترادفات، والثاني حقل الأضداد، كما أدخل الآخرون الأوزان الاشتقاقية (الصرفية) في الحقول الدلالية واطلقوا عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية، كأن تندرج مثلا مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية في حقل دلالي واحد ويطلق عليه {حقل المصادر الثلاثية}.

وقد شهد علم اللغة الحديث محاولات متعددة لتطبيق نظرية الحقول الدلالية وكانت اهم هذه المحاولات واجمعها تلك الخاصة بأعداد معاجم لغوية قائمة على فكرة الحقول الدلالية، على ان تشمل هذه الحقول كل مفردات اللغة والحق ان لغوي العرب كانوا سباقين في هذا المجال، فقد ظهرت اعمال عديدة لهم، منها: كتاب (تعريف المصنف) لأبي عبيد (٢٤٤هـ) وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي (٤٢٩هـ) المخصص لأبن سيدة (٥٨هـ) فضلا عن الرسائل التي اقتصرت على مجال دلالي واحد ومنها الأيام والليالي والشهور للفراء (٢٠٧هـ) وكتاب السلاح لأبي عبيد ايضا" وكتاب الأزمنة لقطرب (٢٠٦هـ) وكتاب الخيل للأصمعي (٢١٦هـ) وغيرها[١].

وان كل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان: حقل تصوري، وحقل معجمي، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات اخرى في الحقل المعجمي نفسه لتغطيته أو تمثيل الحقل الدلالي، ولا بد لنا من الرجوع الى اصول نظرية الحقول الدلالية، اذ انها بدأ ظهورها بالإضافة الى التراث اليوناني، منذ ان نشأ الدرس اللغوي كما رآه سوسير، وذاك ابتداء بظهور الفلسفتين المثالية والعقلانية، ثم تلوّ ذلك الفلسفة الجدلية الهيغلية، وفلسفة التطور الدارونية التي اثرت أيّما تأثير في الدراسات اللسانية المقارنة، بل ساهمت في ظهور المنهج التأريخي، وقد صنع النحاة الجدد افكارهم في اطار المنهج التأريخي[٢].

واما بخصوص اصول هذه النظرية عند الغربيين، يقودنا هذا الى القول بأن اللغة هي ظاهرة متحولة وليست ثابتة وهذا ما ذهب اليه (هامبولدت) في نظرية (رؤية العالم)، والتي تؤكد على اهمية نظرة العالم في تشكيل الأفكار يتكون من خلال اللغة ومن ثم يراها الموضوع الأولي والأساسي للسانيات، واصرّ على ان المظهر الثابت للغة ظاهري فحسب، وأولى اهتماماً خاصياً لارتباط اللغة بالفكر: فالنشاط الذهني يجاهد بالضرورة لكي يتوحد بظاهرة الصوت (أي الكلام) وبدون اتحاد الفكر والأصوات لا يمكن لعالم الصّور أن ينفذ الى عالم الأفكار، وهذا يعني انعدام التفكير السليم[٣].

وعلى هذا تتحدّد رؤية هامبولدت لرؤية العالم أوّلا" من خلال اللغة التي يتكلمونها، ثم ربطها بالواقع الذي يعد بمثابة السّياج الذي يحيط بها، غير ان هذه الفكرة أصلا" نابعة من الرؤية السحرية القديمة للكلمات في العصور المتقدمة، وخاصة عند اليونانيين الى درجة انهم سفسطوا الكلام انطلاقا" من سحرية الكلمات، ولذلك رفض ارسطو ذلك، ودعا الى تحديد مفهوم الكلمات: اذن ان فكرة (رؤية العالم) كان لها بالغ الأثر في ظهور نظرية الحقول الدلالية وهي المحرك الرئيس لهذه النظرية ولها ادواتها واجراءاتها في تحليل اللغة

١ في علم الدلالة (محمد سعد محمد)، الناشر (مكتبة زهراء الشرق) ط١، ٢٠٢ القاهرة: ٥٠.
٢ الظاهرة الدلالية (د. صلاح الدين زرال): ١٨٣- ١٨٤ .
٣ اتجاهات البحث اللساني (ملكا افتش)، ترجمة: وفاء كامل وسعد مصلوح: ٦٦ – ٦٧ .

والفكر في الإطار اللساني[١] ولا يفوتنا القول ان كل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان: حقل تصوري Conceptual field وحقل معجميLexical field .

ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفية التي تعمل بها مع كلمات أخرى في الحقل نفسه الحقل المعجمي لتغطية او تمثيل الحقل الدلالي، وتكون كلمتان في نفس الحقل الدلالي إذا ادّى تحليلها الى عناصر تصورية مشتركة ... كما يبدو أنّه يجب التفريق بين نوعين من المفاهيم: مركزية بالنسبة للحقول الدلالية، مفاهيم مثل اللون ... ومفاهيم تزودّنا بالبنية الداخلية لهذه الحقول، كالفضاء ...[٢].

والحديث عن الحقول الدلالية يُلزمنا ان نعود الى مفهومها نظرية قائمة بذاتها، لأن ما أُثير عن معاجم الموضوعات، مَرَدُهُ الأَساسي هو طُفوّ هذه النظرية على سطح البحث اللّساني في القرن العشرين، فقبل هذا لم نجد اثراً للدّراسات الخاصة بالمعاجم الموضوعية، ولذلك فإنه من الغريب ان نبدأ بالحديث عن المعاجم الموضوعية ونربطها بنظرية الحقول الدلالية لنؤسس لها الشرعية، دون معرفة النظرية أصلاً.

وعلى هذا تشكّل مفهوم اللغة داخل الاطار القومي وارتبط في ذاته بالعقلية او التفكير، ومن هنا استلهم سوسير منهجية، يَعدّه أحد ركائز البنيوية أو المفهوم الآني لها، وعلى خلاف تقاليد فقه اللغة والدراسات المقارنة في اللسانيات السائدة في القرن التاسع عشر واوائل العشرين، عرّف دوسوسير Saussure بأنها نظام من العلامات، تتحدّد فيه كل علامة بحسب علاقتها بغيرها من علامات النظام[٣].

المبحث الثاني

مفهوم الحقل الدلالي

مفهوم الحقل الدلالي او الحقل المعجمي: هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام " لون " وتضم ألفاظا" مثل: أحمر – أصفر – أخضر – أبيض[٤].

وهذا المفهوم يبين لنا ان كل كلمة ترتبط بمجموعة من الكلمات، بواسطة حقل دلالي مشترك، مثل حقل النبات (قمح، شعير، سمسم) وحقل الأسرة (أب، أخ، أخت، أم، ابن) وغيرها. أما اللغويون المحدثون فقد اهتموا بهذا الاتجاه اهتماما" كبيرا"، وكتبوا عنه دراسات متعددة وهناك معاجم اعدها المحدثون وفقا" لهذا الاتجاه، ومنها: (معجم بواسيير، الذي يسير عليه من جاء بعده من المؤلفين[٥].

وفي كتب التراث القديمة نلاحظ وجود معاجم كثيرة سارت على هذا الأتجاه ومنها الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، والألفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٠هـ) وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) والتلخيص في معرفة اسماء الاشياء لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت ٤٢٩هـ) والمخصص لابن سيدة الأندلسي (ت٤٥٨هـ) اذن ان القدماء سبقوا المحدثين في هذا الاتجاه. وعلى سبيل المثال تقسم الحقول الدلالية، منها (الحقل الدلالي في مجال الدرسة المقارنة) والحقل الدلالي في المشترك السامي مثلا": حقل الأفعال الدالة على الانتقال والسير مثل: اتى وسار وظعن وعبر ... الخ) وحقل الأفعال الدالة على الأخذ والترك مثل: أخذ وجرد وجرف، وجَزَّ وصاد وقطف ... الخ[٦].

أذ حرص العلماء العرب القدماء على تحديد دلالات الألفاظ وذلك من خلال وضعهم معاجم الألفاظ او التأليف في المشترك، أو الأضداد او تنظيم الألفاظ في حقول دلالية تجمع بينها ملامح دلالية مشتركة، فهناك الفاظ تتصل بالمحسوسات المتفضلة كالألفاظ

١ الظاهرة الدلالية: ١٨٧ ــ ١٨٩
٢ اللسانيات واللغة العربية (عبد القادر الفاسي الفهري): ١٣
٣ التداولية اليوم (آن روبل، جاك موشلاء): ١٥٨
٤ علم الدلالة (احمد مختار عمر): ٧٩
٥ كلام العرب (د٠ حسن ظاظا): ١٤٩ ــ ١٥٠
٦ علم الدلالة المقارن (حازم علي كمال الدين): ٦٥- ٦٧

الأسرية، او الألفاظ التجريدية المتمثلة بما يدل على الأفكار والرؤى، وهناك لفظ عام يجمع بين هذه الألفاظ الداخلة في الحقل الدلالي المعين يكون هو (المتضمن الأعلى)، الذي تنطلق منه او تعود عليه مجموعة من الألفاظ التي تنتمي الى حقل معين[١].

ويتم رصد تداعي دلالة مجموعة من الكلمات التي لا تنتمي بعضها الى بعض اشتقاقيا" للتعبير عن مجال واحد من المسميات، أو المفاهيم ذات العلاقات التبعية المتبادلة بحيث يتشكل (حقل) او (دائرة) من الكلمات تغطّي مجالا" واحدا" يتصل معنى الكلمة المعنية فيه بمعنى كلمة او كلمات اخرى قريبة منها في الدلالة على ذلك المعنى مما يمكن في ضوئه معرفة معنى الكلمة من خلال الحقل الذي تنتمي اليه. وتعَد هذه الحقول جزء من نظرية المجالات اللغوية ولذلك تجتمع في داخلها المفردات ذات الجذر اللغوي الواحد كالمترادفات، والمتضادات، والمتقابلات، او كتب الفروق وتسميات الأشياء في مجموعة من اللغات، وكتب الغريب زيادة على الألفاظ ذات القرابات المعنوية، اذن الحقول الدلالية هي حقول فهرسية دلالية " لكونها مؤلفة من كلمات، ودلالية لارتدادها ولإرجاعها الى العلاقة بين الدال والمدلول[٢].

ويزعم بعض الباحثين المعاصرين ان فكرة الحقول الدلالية لم تتبلور إلاّ في العقدين الثاني والثالث من القرن الماضي على يد مجموعة من الباحثين الأوربيين من خلال التأكيد على ان فهم كلمة ما يجب على اساسها ان نفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا"، لأن معاني الكلمات لا توجد منعزلة الواحدة تلو الأخرى في الذهن[٣].

ولا يفوتنا القول ان كل لغة تنتظم في حقول دلالية، وكل حقل دلالي له جانبان: حقل تصوري Conceptual field وحقل معجمي Lexical field.

المبحث الثالث

أهمية دراسة الجانب الدلالي في تفسير الرازي ترجع الى امور منها:

١. ان الجهود العلمية التي وضعت في دراسة النظر الدلالي عند علماء التراث ما تزال ضئيلة على الرغم من ان لهؤلاء العلماء اسهامهم والمتميز في دراسة قضية الدلالة من جوانبها المختلفة
٢. ان تفسير الرازي يكاد يمثل صورة لكل التناولات التي سبقته فيها يخص مسألة الدلالة، وبالتالي فإن دراسة من هذا المنظور يمكن ان تعد في الوقت نفسه دراسة للنظر الدلالي في التراث عموماً.
٣. ان التفسير بطبيعته – يفرض معالجة مباشرة للنص اللغوي المتحقق في صورة النص القرآني ومن ثَّم فإننا نكون امام مادة غزيرة وعريضة لبحث الجوانب المختلفة مما تطرحه لغة النص
٤. ان للرازي رأياً خاصاً في "الدلالة اللغوية" ينسب اليه في المصادر التالية عند الحديث عن قضية "الموضوع له".
٥. اكد الرازي ان الاسماء سابقة على الافعال – في سُلّم تطور اللغة – وعلى جميع العناصر اللغوية الأخرى، وذلك لعاملان:

أ- انسجامه مع فكر ميتافيزيقي، يرى ان (الوحدة) هي مبدأ الوجود.

ب- انسجامه مع نظرية (العناصر الأربعة) أو (البسائط الأربعة) في الطبيعيات القديمة.

على ان من الملاحظ انه كان من المفترض ان يسلم اعتقاد الرازي بطريقة الاشتقاق في تفسير دلالات الألفاظ الى تبني القول بأن الجزء الأكبر في اللغة انما هو الجانب المجازي، وعلى سبيل المثال فأن نظرية واحدة الى اسماء المجرورات توقفنا على حقيقة وجودها نتيجة عمليات مجازية[٤].

---

١ مدخل الى الألسنة (بول فاربر): ١٩٤
٢ معجم اللسانيات الحديثة (د. سامي عياد حنا) ود. كريم زكي ود. نجيب جريس): ١٢٦
٣ اصول تراثية في علم اللغة (حسام الدين كريم زكي): ٢٩٤
٤ الخصائص: ٢/ ٤٤٩

ولعل السؤال الذي ينهض الآن هو: لماذا لم يشر الرازي الى ذلك كما أشار سابقه ابن جني، وكلاهما آخذ بفكرة الاشتقاق؟ ربما تكمن الاجابة في الاطار المذهبي لكل منهما فأبن جني معتزلي يؤمن بضرورة التأويل وتجريد الآيات القرآنية من ظاهرها[١]، اما الرازي فهو اشعري يرى ان العدول عن الحقيقة الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز[٢]. وان الله اراد بهذه الألفاظ المعاني التي هي موضوعة لها اما بحسب اللغة، او بحسب القرينة العرفية او الشرعية لأنه لو لم يرد بها ذلك لكان تلبيسا[٣].

يقول الرازي: "اعلم ان أكمل الطرق في تعريف مدلولات الألفاظ هو طريقة الاشتقاق"[٤] وبعد ان يشرح الفارق بين نوعي الاشتقاق: الأصغر والأكبر، يؤكد على أهمية الاشتقاق الاكبر ويصفه بأن " القدر الممكن منه هو الغاية القصوى في تحقيق الكلام في المباحث اللغوية"[٥]، اذن يرى الرازي ان الاشتقاق، أي البحث في أصول الألفاظ، هو وسيلة المعرفة الحقة (- أكمل الطرق) بالأشياء التي تدل عليها هذه الأَلفاظ، ومن هنا جاء تعبيره" مدلولات الأَلفاظ، وهو تعبير يتضح لنا من خلال الأمثلة الاشتقاقية التي يسوقها الرازي ان المقصود منه هو الأشياء المحسوسة.

من هنا يؤكد الرازي على ان الاسماء سابقة في سُلَّم تطور اللغة – على جميع العناصر اللغوية الأخرى، ولقد تعاور على هذا التصور عاملان من خارج الاطار اللغوي:

أولهما: انسجامه مع فكر الميتافيزيقي، يرى، ان (الوحدة) هي مبدأ الوجود.

ثانيهما: انسجامه مع نظرية "العناصر الأربعة" أو "البسائط الأربعة" في "الطبيعات القديمة"[٦] وهنا يعيدنا الرازي الى ما سبق ان بسطه الفارابي في كتابه "الحروف"، ولعل عبارة الفارابي التي يقول فيها: "وأسبق هذه كلها، أي الألفاظ – هوَ عَلمُ المشار اليه .. فإنه هو الذي يدرك لولا" بالحس .. ثم هو بعينه يوجد موصوفا" ببعض هذه التي ذكت .. فمتى أخذ موصوفا" بسائر المقولات للأَخر أخذ مدلولا" عليها باسم مشتق"[٧].

وهناك نظرية أخرى وهي نظرية الرواتبيين، ونجد لديهم تفرقة مهمة في تاريخ الدرس الدلالي بين "المعنى" و"المفهوم" بين معنى ما يقال وبين ما نفكر فيه عندما نقوله اي بين (المعنى) و(الفكر)، وهي النظرية التي عرفت باسم "الليكتون الرواقي"[٨] ويبدو من النظر الأولى المباشر ان الرازي يتفق والنظرية الأرسطية من حيث ان المعنى عنده يبدو – كما هو الأمر عند أرسطو – مرادفا" للفكر.

فالرازي يُعَرَّف (المعنى)، بقوله: "المعنى اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية، لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصد القاصد، وذاك بالذات هو الأمور الذهنية، وبالعَرَض الأشياء الخارجية"[٩].

وقد جاءت لأبي الفضل الرازي آراء في الدلالة منها:

دلالة (رجلك):

وذلك في قراءة الحسن وابي عمرو في رواية حفص بكسر الجيم، في قولة تعالى: "واجلب عليهم بخيلك وَرَجِلِك" الإسراء: ٦٤ إذ قال بمعنى (الرجال)، وقال ابن خالويه فيها: (لمجاورة اللام لأن اللام كسرت للتخفيف، وكسرت الجيم للقرب منها، وذهب ابن جنى الى انها بمعنى الرجال، رواية عن قطرب، إذ قال (روينا عن قطرب هذه القراءة عن ابي عبد الرحمن، قال: الرجل: الرجال، اذن هذه اللفظة ضمن الفاظ الرجال.

١ الصورة الفنية (د٠ جابر عصفور): ١٥٦
٢ مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٦٤
٣ المصدر السابق: ٢٦ / ٢٣٨
٤ مفاتيح الغيب: ٢١/١
٥ السابق: ١/ ٢٢
٦ المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية: ٢٨٣ – ٣٠٢
٧ الحروف: ٧٢
٨ الفلسفة الرواقية (د٠ عثمان أمين): ١٢٣- ١٢٦
٩ مفاتيح الغيب: ٣٢/١

وعلى اية حال فإن الرازي ينتقل بنا الى نقطة اخرى من موضوع الأسماء والمسميات، وتلك هي قضية عدم التكافؤ، أو عدم التوازي بينهما، حيث يقول: "لا يمكن ان تكون جميع الماهيات مسميات بالألفاظ لأن الماهيات غير متناهية، وما لا نهاية له لا يكون مشعورا" به على التفصيل وما لا يكون مشعورا" به امتنع وضع الاسم بإزائه"[١].

وهذا النص يثير قضية أعمق كان لها منزلتها الواضحة في سياق الفكر الفلسفي، وأعني بها قضية علاقة اللغة بالعالم، أو بعبارة أخرى، مدى القيمة المعرفية للغة، ومن الواضح أن الرازي – هنا – يتفق والنظرية الأرسطية التي أقرت مبدأ عدم التوازي بين وحدات اللغة ووحدات العالم الخارجي، بل إن أرسطو بنى إقراره بوجود ظاهرة "المشترك اللفظي" في اللغة على هذا الأساس[٢]، على أن ما يلفت النظر في نص الرازي هو طرحه لقضية عدم التوازي بعملية الإدراك الحسي، وكأنه – مرة اخرى – يؤكد على أن دلالات الألفاظ هي الصورة الذهنية الحادثة عن أدراكنا للموجودات الخارجية.

إن استدلال الرازي يسلم الى نتيجة مؤداها أن وضع الأسماء الدالة على المسميات أمر ليس تابعاً لوجود هذه المسميات في ذاتها وفي إطارها الموضوعي، بقدر ما أنه أمر تابع لخبرتنا الإدراكية بهذه المسميات، أو لنقل إطارها الموضوعي، بقدر ما أنه أمر تابع لخبرتنا الإدراكية بهذه المسميات، أو لنقل إنه أمر تابع لوعي الإنسان بها، إنها نفس النتيجة التي ذهب إليها أشعري سابق – هو عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) – عندما اراد تأكيد أسبقية المعاني الذهنية على وضع الألفاظ الدالة فقال: "فكيف يتصور أن تسبق أي الألفاظ – المعاني وأن تتقدمها في تصور النفس؟ إن جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن عرفت الأشياء وقبل ان كانت"[٣] وهذه – على أية حال – نظرة إلى المعنى تراعي جانب " المتكلم " وهي النظرة التي يؤكدها الرازي حيث يقول: "احتج أصحاب اللفظ بأن قالو: إنّا لا نعقل الترتيب والنظم في المعاني إلا بواسطة حصولهما في الألفاظ، فلو كان حصولهما بما في الألفاظ تابعا" لحصولهما بما في المعاني لزم الدور. الجواب أن هذا القائل نسي حال نفسه، واعتبر حال السامع، وذلك لأنه أولاً ينظم الكلام في نفسه، ثم يعبَّر عنه بلسانه"[٤].

وفي هذا السياق لا بد أن ننبه إلى نص آخر للرازي يقول فيه: "وأقول: اللفظ معرَّف للمعنى، ومعرف الشيء متقدم في المعلومية على المعرَّف، فلا جرم كان الاسم عاليا" على المعنى ومتقدما" عليه"[٥].

وأعتقد أن الرازي – هنا – ينظر إلى عنصر "المعلومية" من جانب "السامع"، أو "المرسَل إليه "عموما".

وبعد عرض هذه المبادئ العامة في علاقة الأسماء بمسمياتها فإننا نجد الرازي يعطينا ما يشبه الحصر للكيفيات الدلالية في وقوع الأسماء على المسميات، وهي – عنده – تسع كيفيات تترتب على النحو التالي:

- الاسم الواقع على الذات.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من أجزاء ذاته، كما إذا قلنا للجدار إنه جسم وجوهر.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كقولنا للشيء إنه: أسود وأبيض، وحار وبارد، فإن السواد والبياض والحرارة والبرودة صفات حقيقية قائمة بالذات لا تعلق لها بالأشياء الخارجية.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب صفة إضافية فقط، كقولنا للشيء إنه معلوم ومفهوم ومذكور ومالك ومملوك.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب حالة سلبية كقولنا: إنه أعمى وفقير.

١ " التفسير " ٣٢/١
٢ انظر: منطق أرسطو ٧٤٣/٣
٣ " دلائل الأعجاز " ص ٤١٧
٤ نهاية الإيجاز، ص ١٠٢
٥ التفسير، ١١٥/١

- الاسم الواقع على الشيء بحسب صفة حقيقة مع صفة إضافية كقولنا للشيء إنه عالم وقادر، فإن العلم عند الجمهور – صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا: قادر لا يعجز عن شيء، وعالم لا يجهل شيئاً.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب صفة إضافية مع سلبية مثل لفظ "الأول" فإنه عبارة عن مجموع أمرين: أحدهما أن يكون سابقا" على غيره، وهو صفة إضافية والثاني: أن لا يسبقه غيره، وهو صفة سلبية.
- الاسم الواقع على الشيء بحسب مجموع صفة حقيقية وإضافية وسلبية، (ولا يعطى هنا مثالا" وكنه يعطيه في موضع آخر وهو كلمة "حكيم")[١].

ولقد تناول أحد الباحثين هذا التقسيم في ضوء ما أسماه ب "علم العلاميات"، وذهب إلى أنه تقسيم ينتمي إلى "المعادلة المنطقية" بين الألفاظ ومدلولاتها، واكتفى في تحليل هذه الأقسام التسعة بحصرها في "ثلاثة ميادين كلامية"[٢] هي:

أولاً: العلامة الواقعة على المسميات بحسب الذات أو المقصود.

ثانياً: العلامة الواقعة على المسميات بحسب الصفات.

ثالثاً: العلامة الواقعة على المسميات بحسب الحالات الإيجابية أو السلبية[٣].

وأحسب أن هذا الحصر التعميمي ليس بجيد، إذ إن الميدان الثالث متضمن في الميدان الثاني: فالحالات السلبية أو الإيجابية مرتبطة بوجود الصفة أو غيابها، ومن ثم فإننا نجد عند الرازي نفسه حصراً تعميمياً آخر يشمله قوله: "اعلم أن اسم كل شيء إما أن يكون واقعا" عليه بحسب ذاته، أو بحسب أجزاء ذاته، أو بحسب الأمور الخارجة عن ذاته"[٤].

وهو يدلل على ذلك بما يلي:

- إن الرجل إذا قال: لبست الثوب أو شربت الماء لا يفيد العموم.
- و" أنه لا يجوز توكيده بما يؤكد به الجمع، فلا يقال: جاءني الرجل أجمعون".
- وأنه "لا ينعت بنعوت الجمع فلا يقال: جاءني الرجل الفقراء ...".

ثم يعقب بهذه الملاحظة: فأما قولهم: "أهلك الناس الدرهم البيض والدينار الصفر فمجاز"[٥].

أما صيغة الجمع المعرف بلام التعريف كلفظة "الرجال" مثلا" فإننا نجده يذكر تارة أنها تفيد العموم، ويستدل على ذلك بأنه "يصح تأكيده بما يفيد العموم" وأنه "يصح استثناء كل واحد من الناس منه، والاستثناء يخرج ما لولاه لدخل، فوجب أن يفيد العموم[٦]، ثم نجده يذكر تارة أخرى "أن دلالة ألفاظ العموم على الاستغراق دلالة ظنية ضعيفة"[٧]، وأن "استعمال الجمع المعرف بالألف واللام في المعهود السابق شاسع في اللغة"[٨]، وأعتقد أن هذه الشبهة من التعارض يزيلها قوله في موضع آخر: "إن الجمع المحلى بالألف واللام الأصل فيه أن يصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق، للضرورة[٩] ولعل الرازي هنا يتسق مع

١ التفسير، ٧٠/١٥
٢ أعتقد ان صواب العبارة هو: ثلاثة ميادين علامية.
٣ يُنَظر: مقالة الأستاذ المنصف عاشور: " نظرة في العلامة اللسانية بين المطابقة والإيحاء " .
٤ التفسير ، ١٢/٢٢ ويقول الرازي في محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين " ص ٢٠٧ .
٥ التفسير، ١٣٩/٢٣.
٦ التفسير، ٩٢/٢.
٧ التفسير ٣٥/٣١ و٤٤/٢.
٨ التفسير ٣٥/٣١.
٩ التفسير ١٦٩/١٦ و٦٧/١١ – و: " اللمع " للشيرازي حيث يرى أن المعرف بـ(أل) بنوعيه يفيد العموم ص ٢٦.

أشعريته، حيث يذكر أبو إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) أن الأشاعرة قالوا "ليس للعموم صيغة موضوعة، وهذه الألفاظ تحتمل العموم والخصوص، فإذا وردت وجب التوقف فيها حتى يدل الدليل على ما يراد من العموم والخصوص"[١].

الخاتمة

عُدّ تفسير الرازي شاملا" لكونه اشتمل على الجمع بين التفسير بالعقل السليم والنقل الصحيح، فضلا" عن شموله لأبحاث فياضة تضم انواعاً شتى من مسائل العلوم المختلفة، كما يعد من أطول التفاسير القديمة والحديثة، واكثرها تفصيلا" وعرضا" للآراء ومناقشة للمعتقدات والمذاهب المختلفة ويذكر فيه الامام الرازي مناسبة السورة مع غيرها ويذكر المناسبات بين الآيات ويستطرد في العلوم الكونية ويتوسع بها، كما يذكر المسائل الأصولية والنحوية والبلاغية والاستنباطات العقلية ويبين في تفسيره معاني القرآن الكريم، واشاراته وفيه ابحاث مطوله في شتى العلوم الاسلامية كعلم الكلام واقوال الحكماء ويذكر فيه مذاهب الفقهاء وأدلتهم في آيات الأحكام وينتصر لمذهب اهل السنة في العقيدة ويرد على المعتزلة واقوال الفرق الضالة ويفند مذاهبهم كما يرد على الفلاسفة، وان الناظر او القارئ لتفسير الرازي من حيث موضوعاته او الفاظه يجد الآتي:

١. كثرة الاستطراد الى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية وغيرهما.
٢. العرض لكثرة من آراء الفلاسفة والمتكلمين بالرد والتفنيد فهو على شاكلة اهل السنة ومن يعتقد معتقدهم حيث يقف دائما المعتزلة بالمرصاد يفند آراءهم ويدحض حججهم ما استطاع الى ذلك سبيلاً.
٣. والفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الاحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه للمذهب الشافعي الذي كان يتابعه هو في عبادته ومعاملاته.

يضيف الرازي الى ما سبق كثيرا" من المسائل في علوم: الأصول والبلاغة والنحو وغيرها وهي مسائل بعيدة عن الاطناب والتوسع كما هو الحال في المسائل الكونية والرياضية والفلسفية وهو مشتمل على عشرة آلاف مسألة وأزيد أو أقل من المسائل المهمة المعبرة، اذن يمكن القول ان هذه المسائل عند الرازي هي اشبه بالحقول الدلالية لموضوعات الكتاب

واما اهم المآخذ على تفسير الرازي فهي: قلة اعتماده على علم الحديث في تفسيره وايراده احاديث ضعيفة او موضوعة ونقله عن غير المحدثين مثل الزمخشري والثعلبي وكذلك يعاب على التفسير ركز على كثير من الابحاث والمناقشات والآراء التي لا ترتبط بالتفسير بل هي ابحاث كلامية وفلسفية ولغوية وكونية ونظرية، وهذا مما زاد من صعوبة ادراج حقول دلالية معينة لتفسيره، ولكون الدلالة كانت تدرس لغايات دينية وفلسفية ولذلك لم تكن علما مستقلا بذاته كباقي العلوم ويعد الفرنسي ميشيل اول من اطلق على هذا العلم: السيمانتيك وكانت نظرية الحقول من بين الاجتهادات الدلالية او التطورات التي لحقت بعلم الدلالة وذلك لحاجة الناس الملحة لفهم دلالة العلامات الكثيرة المعقدة التي يتشكل منها الكون.

واما بخصوص نظرية الحقول الدلالية، فلا شك ان هذه النظرية قد جذبت انتباه الدارسين في السنوات الاخيرة على الرغم من اعتراض البعض على تسميتها بالنظرية باعتبارها لم تتبلور بشكل يجعلها نظرية موحدة متناسقة، إلا ان هذه النظرية تعتبر القضية الأهم في الدراسات اللغوية منذ زمن بعيد، لأن اللغة كما هو معروف لدى الجميع هي عبارة عن التقاء لفظ ومعنى معا، ومن ثَّمَ كانت ادلالة اساس التواصل والتفاهم بين افراد المجتمعات البشرية، واساس الرقي والازدهار ولهذا فهي القلب النابض لعلم اللغة، وغاية الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية إلا توضيح المعنى وازالة الغموض.

ونظرا" لهذه الأهمية التي انفردت بها الدلالة، تطورت الدراسات في هذا الميدان، وتراكمت المناهج والنظريات التي تهدف الى تحديد قوانين التفاهم وتسهيل ايصال الأفكار والمعاني والهدف من هذه النظرية هو تقريب الصورة في هذا المجال.

١ اللمع ص ٢٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- اتجاهات البحث اللساني (ملكا افتش) ترجمة سعد مصلوح، مكتبة بستان المعرفة للنشر، ٢٠٠٠.
- اصول تراثية في علم اللغة (حسام الدين كريم زكي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ)، تح: هـ. ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- التداولية اليوم (آن روبل وجاك موشلار)، ترجمة سيف الدين دغفوس، مراجعة: د٠ لطيف زيتوني.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب (علاء الدين بن علي الاربلي، صَنَعة اميل بديع يعقوب، دار النفائس لبنان، ط٢، ٢٠٠٩.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، (د٠ت).
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الظاهرة الدلالية (د. صلاح الدين رزال)، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ٢٠٠٨.
- علم الدلالة، احمد مختار عمر، دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
- علم الدلالة المقارن (حازم علي كمال الدين)، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤.
- في علم الدلالة (محمد سعد محمد)، الناشر: مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٢.
- الفلسفة الرواقية (عثمان أمين)، الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٧١م.
- اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- البحث اللغوي عند الأصوليين، رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة كلية الآداب بجامعة المنيا، ١٩٨٢م.
- اللسانيات واللغة العربية (عبد القادر الفاسي)، دار نشر توبقال، ط٣، ١٩٩٣
- منطق أرسطو (الترجمة العربية القديمة)، أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الجزء الأول: مطبعة دار الكتب، ١٩٤٩م. الجزء الثالث: النهضة المصرية، ١٩٥٥م.
- المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، أولف جيجن، ترجمة: عزت قرني، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٦م.
- المحصول في أصول الفقه، فخر الديم محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، أساس التقديس في علم الكلام، البابي الحلبي، ١٩٣٥م.
- المقولات، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ).
- مدخل الى (مقالات مترجمة ودراسات) سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، ١٩٨٦م.
- المزهر، عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م.
- معيار العلم في فن المنطق، ، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥ هـ).
- مجلة الأقلام، المنصف عاشور، نظرة في العلامة اللسانية بين المطابقة والإيحاء عدد٩، ١٩٨٣م.
- مدخل الى الالسنية (بول فاير)، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢.
- معجم اللسانيات الحديثة (سامي عيادة حنا)، م٠ المساحة بالقاهرة، ٢٠٠٨.
- مفاتيح الغيب (محمد بن عمر بن الحسن الرازي ت ٦٠٦ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.

المراجع الأجنبية

- Hanneman , Gerhard: "The Study of Human Communication" , in: Communication and Behavior, Addison Wesley Pub. Co. Massachusetts, 1974.
- Slobin , Dan I: psycholinguisties. Scott, Foresman and Co., Glenview, U.S., 1971.